المقدمة :

التصق اسم التوقيعات الأدبية بفن الإيجاز البلاغي غالبًا ، فقد لُوحظ الإيجاز في غالب التوقيعات ، وربما كان السبب في ذلك يعود إلى أصل هذا الفن الأدبي ، فهو كما عرفنا عبارات موجزة في هامش الكتب يعلق بها المرسل أو الخليفة ردًا على كتاب مرسل إليه ، وقد احتاجوا للإيجاز لكون هذه التعليقات تتطلب الرد السريع الموجز الحامل للمعاني الكبيرة من دون الإطالة لانشغال الخليفة واتساع الأمور الإدارية والسياسية ، ومن يُطالع تاريخ هذا الفن يجده يتطور شيئًا فشيئًا لازدياد الحاجة إليه ، فمن توقيعات لا تتجاوز الإحدى عشر توقيعًا في عصر صدر الإسلام إلى ما يفوق المائة توقيع في العصر العباسي .

وقد ارتأيت البحث في بداياته (عصر صدر الإسلام) ؛ لأن عصر ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي) لم يعرف الكتابة ، ولكون البذرة الأولى لهذا الفن كانت في هذا العصر ، وتحديدًا في عصر الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ، وأول توقيع يطالعنا في التاريخ الأدبي ، فلم أعثر فيما طالعته من مصادر على توقيع قبل توقيعه .

وقد قسمت بحثي على مباحث : تكلمت في الأول منها عن تعريف التوقيع لغةً واصطلاحًا ، وفي الثاني منها عن نشأة التوقيعات وخصائصها في عصر صدر الإسلام ، وفي الثالث منها عن الإيجاز لغةً واصطلاحًا وأقسامه ، وفي الرابع منها عن الإيجاز في فن التوقيعات نماذج تطبيقية ، ثم الخاتمة وأهم ما توصلت إليه .

المبحث الأول
التوقيع لغةً واصطلاحاً

التوقيع لغةً :

وردت لفظة وقع بمعانٍ متعددة بحسب اشتقاقاتها اخترنا بعضًا منها ، فـ "يقال: وَقعتُ في الشيء أوقعُ تَوقِيعاً ، وكتابٌ مُوّقَع فيه ، ورجلٌ مُوقِع ، فإذا أمرت قلت: وَقّع فيه. وحقَّه في اللغة التأثير القليل الخفيف، يقال: دف هذه الناقة موقع إذا أثرت فيه حبال الأحمال – والدف الجنب – تأثيراً خفيفاً.

وحكى العتبي أنَّ أعرابية قالت لخل لها: حديثك ترويع وزيارتك توقيع".[1]

ولفظ (وقع) "يدلُّ على سُقوط شيء. يقال: وقَعَ الشيءُ وُقوعاً فهو واقِع............... ووقَعَ فلانٌ في فلان وأوْقَع به . وأما وَقَعْت الحديدةَ أقِعُها وَقْعاً، إذا أنتَ حدَّدتَها، فمن القياس، لأنّك توقِّعها على حجرٍ أو غيرِه لتمتدَّ، فكأنَّه من باب فَعَلَ الشيءُ وفَعَلْتُه. وحديدةٌ وقيعٌ . ووقَع الغَيثُ: سَقَط متفرِّقاً. ومنه التَّوقِيع، وهو أثَرُ الدَّبَر بظهر البَعِير. ومنه التَّوقيع: ما يُلْحَق بالكتابِ بعد الفَراغ منه. وتوقَّعْتُ الشَّيءَ: انتظرتُه متى يقع"[2].

وكذلك يقال : "وَقع بالأمر : أَحدثه وأَنزله . ووَقَعَ القولُ والحكْمُ إِذا وجَب . وقوله تعالى : {وإِذا وَقَعَ القولُ عليهم أَخرجنا لهم دابةً}[3] ؛ قال الزجاج : معناه ، والله سبحانه أَعلم ، وإِذا وجب القول عليهم أَخرجنا لهم دابة من الأَرض ، وأَوْقَعَ به ما يَسُوءُهُ كذلك . وقال ـ عز وجل ـ : {ولَمّا وقَع عليهم الرِّجْزُ}[4] ، معناه أَصابَهم ونزَلَ بهم . ووَقَعَ منه الأَمْرُ مَوْقِعاً حسَناً أَو سَيِّئاً : ثبت لديه، .... والتوْقِيعُ في الكتابِ : إِلْحاقُ شيء فيه بعد الفراغِ منه ، وقيل : هو مُشْتَقٌّ من التوْقِيعِ الذي هو مخالفةُ الثاني للأَوّلِ . قال الأَزهري : تَوْقِيعُ الكاتِب في الكتاب المَكْتُوبِ أَن يُجْمِلَ بين تَضاعِيفِ سُطُوره مَقاصِدَ الحاجة ويَحْذِفَ الفُضُولَ ، وهو مأْخوذ من تَوْقِيعِ الدَّبَرِ ظهرَ البعير ، فكأَنّ المُوَقِّع في الكتاب يُؤَثِّر في الأَمر الذي كُتِبَ الكتابُ فيه ما يُؤَكِّده ويُوجبه . والتوْقِيعُ : ما يُوَقَّعُ في الكتابِ . ويقال : السُّرُورُ تَوْقِيع جائزٌ"[5].

وفي تاج العروس "وَقَعَ على الشَّيءِ ، وكذلكَ وقَعَ الشَّيءُ منْ يَدِه يَقَعُ بفَتْحِهِما وَقْعاً ، وُقُوعاً أي : سَقَطَ ويُقَالُ أيْضاً : وَقَعْتُ من كذا ، وعن كذا . ونَقَلَ شَيْخُنَا أنَّ الوُقُوعَ بمَعْنَى السُّقُوطِ والغُرُوبِ يُسْتَعْمَلُ بمِنْ ، وبمَعْنَى النُّزُولِ بعَنْ ، أوْ على . قلتُ : وفيهِ قُصورٌ لا يَخْفَى فتأمَّلْ . وقولُه تعالى : {إنَّ عَذابَ رَبِّكَ لواقِعٌ}(٦) ، أي : واجِبٌ على الكُفّارِ ، ومِنْهُ قَوْلُه تعالى :{وإذا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أخْرَجْنَا لَهُمْ دابَّةً منَ الأرْضِ}(٧) ، أي : وَجَبَ ، ونَقَلَه الزَّجَاجُ ، وكذلكَ وَقَعَ الحُكْمُ عَلَيْهِمْ وقيلَ: ثَبَتَتِ الحُجَّةُ عَلَيْهِم وكذلكَ قَوْلُه تعالى : {فوَقَعَ الحَقُّ}(٨) أي : ثَبَتَ وقالَ اللَّيْثُ : وقَعَتِ الإبلُ وُقُوعاً : بَرَكَتْ"(٩) .

فمن كل ذلك نرى أن المعجمات اتفقت على تعريف مشترك هو : كل تعليق يلحق الكتاب في آخره ، والتعريف في لسان العرب كان وافيًا بالغرض ، وقد بين معنى التوقيع لغةً واصطلاحًا أيضًا عندما بين أنه ما يلحق في آخر الكتاب .

التوقيع اصطلاحاً :

يقول ابن خلدون : "من خطط الكتابة التوقيع ، و هو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه و فصله و يوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها و الفصل فيها ، متلقاة من السلطان بأوجز لفظ و أبلغه : فإما أن تصدر كذلك ، و إما أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة . و يحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه . و قد كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد و يرمي بالقصة إلى صاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة و فنونها حتى قيل : إنَّها كانت تباع كل قصة منها بدينار . و هكذا كان شأن الدول . و اعلم أنَّ صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير من أرفع طبقات الناس و أهل المروءة و الحشمة منهم و زيادة العلم و عارضة البلاغة ؛ فإنَّه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك و مقاصد أحكامهم"(١٠).

أما القلقشندي فيقول : "أما التوقيع فهو الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم وهو أمر جليل

ومنصب حفيل ؛إذ هو سبيل الإطلاق والمنع والوصل والقطع والولاية والعزل إلى غير ذلك من الأمور المهمات والمتعلقات السنية واعلم أنَّ التوقيع كان يتولاه في ابتداء الأمر الخلفاء فكان الخليفة هو الذي يوقع في الأمور السلطانية وفصل المظالم وغيرهما"[١١] ، ثم ذكر تعريفًا آخر مبينًا أنه للأقدمين يقول : "وفي اصطلاح الأقدمين من الكتاب أنَّه اسم لما يكتب في حواشي القصص كخط الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدم وخط كاتب السر الآن ثم غلب حتى صار علما على نوع خاص مما يكتب في الولايات وغيرها"[١٢] ،أي : أنَّ العرب عرفته منذ القدم .

وقيل في تعريفه : "ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه ممن رفع إليه كالسلطان ونحوه من ولاة الأمر كما إذا رفعت إلى السلطان أو إلى الوالي شكاة فكتب تحت الكتاب أو على ظهره: ينظر في أمر هذا أو: يستوفى لهذا حقه أو نحو ذلك. فهذا توقيع"[١٣].

وعند المحدثين "التوقيع عبارة بليغة موجزة مقنعة ، يكتبها الخليفة أو الوزير كجواب ملائم لأمر ما ، والتوقيع قد يكون آية قرآنية، أو حديثًا نبويًا ، أو بيت شعر ، أو حكمة، أو مثلاً ، أو قولاً سائرًا ، أو صياغة لغوية جديدة ملائمة"[١٤] ، فهذا التعريف جامع مانع موضح لماهية التوقيع التي سنلحظها خلال تحليل النماذج بلاغيًا .

والمراد بالتوقيع أيضًا "التعليق على الرسائل والشكاوى التي كانت ترفع إلى الخليفة ، وربما أنها كثيرة يبعث بها كل من عرضت له حاجة من الشعب ؛ فقد كان الخلفاء مضطرين أن يوجزوا في ردودهم ، ويقلوا في عباراتها"[١٥] ، وكل هذه التعريفات ترجع إلى مقصد واحد مع الاختلاف في استعمال الألفاظ المعبرة عنها ، فكلها يرجع إلى منظور واحد هو : إن التوقيعات عبارة بليغة تلحق الكُتب في آخرها ، وقد تكون آية ، أو حديث أو بيت أو حكمة أو مثل أو عبارة مختصرة .

وقد أوردت هذه التعريفات لبيان مفهوم هذا النوع الأدبي عند بعض العلماء ليتسنى للقارئ معرفة نظرة الأقدمين والمحدثين ، وهل هناك اختلاف أم لا ؟

المبحث الثاني
نشأة التوقيعات وخصائصها في العصر الإسلامي

نشأتها :

يقول ابن عبد ربة في كتابه (العقد الفريد) : "ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في التوقيعات، والفصول، والصدور، وأدوات الكتابة، وأخبار الكتاب، وفضل الإيجاز؛ إذ كان أشرف الكلام كلّه حسنا وأرفعه قدرا، وأعظمه من القلوب موقعا، وأقلّه على اللسان عملا: ما دل بعضه على كله، وكفى قليله عن كثيره ، وشهد ظاهره على باطنه، وذلك أن تقلّ حروفه وتكثر معانيه؛ ومنه قولهم: ربّ إشارة أبلغ من لفظ.

أليس أن الإشارة تبين ما لا يبينه الكلام، وتبلغ ما يقصر عنه اللسان؟ ولكنَّها إذا قامت مقام اللفظ وسدت مسدّ الكلام، كانت أبلغ؛ لخفة مؤنتها، وقلة محملها"[١٦] ، فكلامه هذا يدل على قدم نشوء هذا الفن عند العرب ومعرفتهم به وان اختلفت طرق التعبير عنه ، مع ارتباطه الشديد بفن الإيجاز البلاغي .

وقد ارتبط فن الإيجاز البلاغي مع فن التوقيعات الأدبي حتى إنَّ بعض الوزراء كان يوصي كُتابه بهذا فقد "قال جعفر بن يحيى[١٧] لكتابه " إن استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات فافعلوا ". يريد بذلك حضَّهم على الإيجاز والاختصار"[١٨]. وقد "كان أبو سلمة[١٩] يوقع في الكتب: " آمنت بالله وحده ". فخرجت لأبي اللفائف الكوفي صلة بكتاب من السفاح فجاء يناشد أبا سلمة وقد تأخر تعليمه فيه:

قل للوزير: أراه الإله في الحق رشده
الباذل النصح طوعاً ... لآل أحمد جهده
أطلت حبس كتابي ... وحمله ثم رده
يا واحد الناس وقع ... آمنت بالله وحده"[٢٠].

والتوقيعات نوع من أنواع الكتابة التي أعطاها الإسلام أهمية كبيرة فقد "أخذت منذ هذا العصر تستخدم على نطاق واسع لا في كتابة القرآن فحسب ، بل في كتابة كل ما يهم المسلمين في معاملاتهم وعقودهم . وكان الرسول عليه السلام يستخدمها في جميع مواثيقه وعهوده ، كذلك كان الخلفاء الراشدون من بعده ، وتكتظ كتب الحديث والتاريخ والأدب بهذه العهود والمواثيق ، سواء منها ما كان على لسان الرسول وما كان على لسان خلفائه"(٢١) ، فصحيح أنَّه لم تُؤثر عنه "صلى الله عليه وسلم" توقيعات ، ولن أُثرت عنه كُتب وعهود ومواثيق ، وكان مهتمًا بالكتابة وتسجيل أمور الدولة .

وقد عدّها الدكتور شوقي ضيف غير عربية فقال عنها : "التوقيعات وهي عبارات موجزة بليغة ، تعودَّ ملوك الفرس ووزراؤهم أن يوقعوا بها على ما يقدم إليهم من تظلمات الأفراد في الرعية وشكاواهم ، وحاكاهم خلفاء بني العباس ووزراؤهم في هذا الصنيع ، وكانت تشيع في الناس ويكتبها الكتاب ويتحفظونها ، وقد سموا الشكاوى والظلامات بالقصص لما تحكى من قصة الشاكي وظلامته، وسموها بالرقاع تشبيها لها برقاع الثياب"(٢٢) ، متناسيًا بذلك عروبة هذا الفن وأصالته وبلاغة أوائل من كتب فيه وهم الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم أجمعين) ، ونجد عند جرجي زيدان ردًا لما قاله شوقي ضيف حيث يقول في معرض حديثه عن التوقيعات : "وظل الميل إلى الإيجاز متغلبًا في نفوس الأدباء ولا سيما في التوقيع ويراد به ما يعلقه الخليفة على القصص أو ارقاع (العرضحالات). وكان الخلفاء في صدر الإسلام هم الذين يوقعون بأنفسهم أو يأمرون كتابهم بتدوينه . والغالب في توقيعهم أن يكون اقتباسًا من آية أو حديثًا أو حكمة مشهورة أو من الشعر الحكمي"(٢٣) .

وهناك من قال "بعربيتها الأصيلة ، وإنَّها نبعت من الصدور العربية ، لأنَّها من ضرورات الملك واستبحار العمران ، فضلًا عن طابعها الموجز الذي هو من سمات الأساليب السامية لا الآرية المطنبة ، والأمثال الجاهلية المأثورة تنطق بهذا ، وتؤيد ما ذهبنا إليه من تقرير أصالتها العربية..... أليست هذه الأمثال ضرباً من "التوقيعات" وإن لم تكن محبرة ؟"(٢٤) .

فالعرب كانت تعرف الكتابة منذ القدم ، فـ "قد كان لهم حظ لا بأس به من الحضارة في مكة والطائف والمدينة ، وكانوا يتخذون الكتابة في أغراضهم التجارية والاقتصادية ، وكانوا على حظ غير قليل من الاتصال باليهود والنصارى ومجوس الفرس . فكان من المعقول أن يدعوهم هذا كله إلى التفكير والروية ، ثم إلى الكتابة واستحداث النثر"[٢٥] ، ولكن هذه الكتابة لم تُعزز بما يسمى التدوين، فكلنا يعرف أن نشاط حركة التأليف والتدوين كان في العصر العباسي ، واعتقد إن هذا هو السبب الرئيس في عدم وجود توقيعات في العصر الجاهلي ، فضلاً عن بدء التوسع الإسلامي وبناء دولة إسلامية ، واتساع مساحتها وأمصارها جعل الحاجة ملحة لظهور التوقيعات ، فقد بلغت أوجها بحسب مصادر تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي ، وبدأت تتدرج في كثرتها من عصر صدر الإسلام إلى الإسلامي إلى الأموي إلى اشتدادها في العباسي لأتساع الأمصار الإسلامية ، وحاجة الخليفة إلى الاختصار بما قل من الكلام ودل على المعنى المطلوب .

ثم كان للإسلام أثر كبير في تطور النثر بصورة عامة فقد "أيقظ العرب وأثار ما سكن من نشاطهم وحياتهم وحبَّب إليهم القوة والجاه والملك ، فانطلقت ألسنتهم ، وظهر فيهم الكتاب والخطباء والشعراء ، وكان من دواعي ذيوع البلاغة عندهم حاجتهم إلى الدفاع عن صدق النبوة"[٢٦] ، ومع اتساع الملك وكثرة الرسائل اضطروا إلى الاستعانة بالوزراء والولاة والكتاب لينوبوا عنهم في هذا الشأن ، حتى إنهم أنشؤوا ديوان التوقيع للنظر في المظالم ورقاع الشكاوى وعرفت بالقصص[٢٧] .

وخلاصة الأمر في أمر التوقيعات "أن التوقيعات عُرِفَت في الأدب العربي أول ما عُرِفَت في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ والسبب في ذلك شيوع الكتابة بعد أن أقبل المسلمون على تعلمها ، وأصبح الذين يجيدونها يمثلون شريحة كبيرة ، يضاف إلى ذلك استخدام الكتابة في تحبير الرسائل ، وتبليغ أوامر الخليفة وتوجيهاته إلى الولاة والقواد في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية . ويعد الخليفة الراشد أبو بكر الصديق أول من استعمل التوقيعات في تاريخ الأدب العربي ، وفي التاريخ الإسلامي ، غير أنّ التوقيعات أُثِرتْ عنه ووصلت إلينا قليلة ، لا نستطيع أن نبني عليها حكمًا أدبيًا . واستخدم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ هذا الفن في مكاتباته

لرجال الدولة من ولاة وقواد"[٢٨] .

وختامًا فالتوقيعات فن عربي عرف منذ القدم لكنه لم يسلط عليه الضوء بصورة كبيرة إلا بعد ظهور التدوين وتطور الكتابة في العصر العباسي ، فنلحظ الاهتمام بهذا النوع الأدبي ، وكثرة المهتمين به من الكُتاب في بلاط الخلافة .

خصائصها :

من أبرز الخصائص التي تطالعنا في التوقيعات هو تزيين هذه "التواقيع بألفاظ القرآن ، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فكثير جدا ، استعمله العلماء الفضلاء ، وهو حسن في الجد من الأمور ، محظور في المزح والمطايبة . وقد كانت الصحابة ، والصدر الأول يصدرون كتبهم بآيات القرآن ، ويذكرون منه ما يتعلق بالوعد والوعيد ، والنهي ، والأمر إلى غير ذلك من الأغراض"[٢٩] ، وهذا ما وجدناه في توقيعات الخلفاء (رضي الله عنهم) ومن جاء بعدهم.

فضلاً عن قلة التوقيعات في صدر الإسلام مقارنةً بالعصور السابقة ، ويعزى السبب في ذلك إلى أنَّ أي شيء في بداية نشأته يكون قليلاً ، فضلاً عن عدم تشعب علاقات الدولة إداريًا وسياسيًا، وقد تميزت توقيعات الخلفاء الراشدين ببلاغة الأداء و وجازة التعبير ، ولم يكن هذا الإيجاز مخلاً بالجواب ، بل زاد المعنى عن الحاجة مع إيجازه ، وقد جسدت التوقيعات معالم معانٍ متعددة بدت كإشارات مستكنة في وعاء موجز مكثف من التعبير ، وقد كشفت التوقيعات على قلتها عمق العلاقة بين الخليفة ورعيته ، فلم يمثل الخليفة سلطة سياسية فحسب ، فضلاً عن تنوع التوقيعات ، فقد تكون آية قرآنية ، أو مثل ، أو ما يجري مجرى الحكم ، فعلى هذا النحو بدت التوقيعات فاتحة لفن نثري عربي أصيل ، حمل في طياته بلاغة العرب وحرصهم على الإيجاز دون إخلال ، كما حمل روح الإسلام : القرآن وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، مع كشف لجوانب شخصية الموقع[٣٠] .

وكذلك "نلحظ أن التوقيعات التي أُثِرَت عن الخلفاء الراشدين ووصلت إلينا تمتاز ببلاغة الأداء ووجازة التعبير ، وموافقتها للصواب . وقد يكون التوقيع يوقع به الخليفة آية قرآنية ، أو مثلاً سائرًا أو حكمة ، أو قولاً بليغًا يجري مجرى الحكمة أو المثل ؛ ولكن ينبغي أن نقرر حكمًا ، وهو أن

التوقيعات في عصر صدر الإسلام تعد قليلة جدًا إذا ما قورنت بالتوقيعات في العصور التالية ، وربما يعزى السبب إلى أن هذا الفن الأدبي لا يزال آنذاك في بداية نشأته"(٣١).

وقيل أنَّه "قد تشكلت التوقيعات الأدبية مرتكزة على ما استقر من مفهوم للبلاغة في كل عصر من عصور انتقالها ، ومن ثم وجدناها مرسلة فطرية في صدر الإسلام ، ووجدناها وقد كسيت حلية وزركشة في فترات من العصر العباسي ، وهي في كلٍّ تحمل طاقة إبلاغية جسدتها كلمات مختارة منتقاة ، لاءمت أوضاع المخاطبين ، وكان لها تأثيرها في نفوسهم فتجاوبوا معها على مستوى الفكر أو العاطفة أو الوجدان"(٣٢) .

ويبدو أنَّ مسألة الإيجاز والإطناب كانت تجري في الغالب على مقتضى الحال فكان الكاتب يوجز ويطنب وفقًا للظروف التي يكتب فيها رسالته ، وكذلك الخطباء فلا يرجعون في ذلك إلى قاعدة غير المناسبات التي توجب الكلام ، وسحبان وائل الذي عرف بالتطويل ويأنه كان يخطب أحيانًا نصف يوم أُثرت عنه الخطب القصيرة الموجزة . فذلك يدل على أنَّ القاعدة المطردة لم تكن شيئا آخر غير مراعاة الظروف . ورسائل الخليفة والإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" وخطبه ووصاياه وعهوده إلى ولاته تجري على هذا النمط ، فهو يطيل حين يكتب عهداً ، ويوجز حين يكتب إلى بعض خواصه(٣٣) .

ومع ذلك كله فقد كان "أغلب التوقيعات المأثورة عن أدباء المشرق عبارات موجزة بليغة كان يعلق بها أصحابها على ما يرد إليهم من رسائل ، وكثيراً ما كانت تمعن في إيجازها فلا تبلغ ألفاظها حدّ التواتر"(٣٤) .

وقد تميزت بمميزات أخرى فقد "اختصت التوقيعات عامة بمميزات قلما وجدت في غيرها من الأساليب الكتابية، أهمها الطرافة والجدة والتنوع صدرت هذه التوقيعات عن أناس لهم إسهام كبير في دعم اللغة العربية وتطورها ، وهم الخلفاء الراشدون ، ثم الخلفاء الأمويون وكبراؤهم وبعدهم الخلفاء العباسيون ووزراؤهم وأكابر كتابهم"(٣٥) .

أما من ناحية الأسلوب فتتحدث إحدى الباحثات عن الأسلوب في العصر الراشدي (صدر الإسلام مع العهد النبوي) والعصر الأموي قائلةً : "إنَّ أسلوب التوقيعات الراشدية والأموية مسبوك غير متكلف ، مختار الألفاظ ، جزل التراكيب وسهل ، ولكنَّه من السهل الممتنع ، إضافةً إلى بعده عن الحوشي والغريب إلا ما جاء عفوا . وإنَّ أهم ما يلاحظ في هذا الأسلوب من محسنات إنَّها جاءت هي أيضًا بسيطة لا تحتاج إلى جهد كبير في استخراجها ، فالطباق والمقابلة هينان يدعو إليهما الطبع ، والسجع والجناس فطريان ، والاقتباس من القرآن الكريم حسن في كلا التوقيعات ، أما الاقتباس من الحديث فقليل ، والاقتباس من الحكم والأمثال حسن أيضًا ، مع ندرة بعض ألوان البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية . والسبب واضح ، ذلك أنَّ أسلوب التوقيعات في هذين العصرين سهل ليس فيه تصنع ، وإنَّما اقتصر المعنى على الإلمام بالحقائق وتوضيحها بلا مبالغة"(٣٦) ، هذا فضلاً عن كونها (بسيطة ، وعلى الرغم من بساطتها فإنَّها تدل على عمق في التفكير وأصالة في الذوق . ولم تكن المحسنات البديعية التي وردت فيها مدروسة في عهدهم ، وإن كل ما جاء عفوا تقود إليه السليقة والطبع ، وإنَّ أصحاب هذه التوقيعات عندما يأتون بالتوقيع الموجز ،لا يحاولون الإتيان بشيء من هذه المحسنات إلا ما جاء عفوًا ، ومن غير تعمل"(٣٧) . وقد لاحظنا ذلك عند تحليلنا للنصوص التي سيأتي ذكرها ، فقد وجدناها فضلاً عن قلتها وإيجازها لا تضم المحسن البديعي بشكل كبير كما شهدته توقيعات العصور اللاحقة وخاصةً العصور العباسية .

المبحث الثالث
الإيجاز لغةً واصطلاحاً وأقسامه

لغةً :

يقال أوجز في كلامه وكتابه وفعاله يوجز إيجازاً إذا أسرع وخفف. وموت وجيز وحي سريع. ورجل موجز إذا كان يفعل ذلك. ووجز الكلام بنفسه يجز وجزاً. قال رؤبة: ها وجز معروفك بالرماق[٣٨]

قال ابن سيدة "بين الإيجاز والاختصار فرق مَنْطِقِيٌّ ..... وكلامٌ وَجْزٌ : خفيف وأَمر وَجْزٌ و واجِزٌ ووَجِيزٌ ومُوجِزٌ ومُوجَزٌ و رجل مِيجاز : يُوجز في الكلام والجواب . وأوجز القول والعطاء : قلله ، وهو الوجز"[٣٩] ، و يقول ابن منظور : "وَجُزَ الكلامُ وَجازَةً ووَجْزاً وأَوْجَزَ : قَلَّ في بلاغة ، وأَوْجَزَه : اختصره"[٤٠] .

وجُل هذه التعريفات تعود لأصل لغوي واحد هو : التقليل في الشيء ، وقلة الكلام مع الوفاء بالمعنى .

اصطلاحًا :

الإيجاز فن بلاغي من فروع علم المعاني ، ومن الفنون الأساسية في ذات البلاغة حتى إنَّ قسمًا منهم جعله دلالةً على البلاغة العربية فقد "قيل لجعفر بن يحيى بن خالد: ما البلاغة؟ قال: التقرّب من المعنى البعيد، والدلالة بالقليل على الكثير"[٤١]، فقصد بذلك أن يكون الإيجاز هو البلاغة ويذكر ابن عبد ربه ما مر به من مفاهيم الأقدمين للإيجاز فيقول : "ولم أجد أحدا من السلف يذمّ الإيجاز ويقدح فيه، ولا يعيبه ويطعن عليه وتحب العرب التخفيف والحذف، ولهربها من التثقيل والتطويل، كان قصر الممدود أحب إليها من مدّ المقصور، وتسكين المتحرك أخفّ عليها من تحريك الساكن لأن الحركة عمل والسكون راحة. ومن كلام العرب الاختصار والإطناب، والاختصار عندهم أحمد في الجملة، وإن كان للإطناب موضع لا يصلح إلا له، وقد تومئ إلى الشيء فتستغني عن التفسير بالإيماء، كما قالوا: لمحة دالّة"[٤٢] ، وهو هنا يشير إلى نوعي الإيجاز (القصر والحذف)

بقوله : تحب العرب التخفيف والحذف ولهربها من التثقيل والتهويل ...... إلى آخره .

ويعرفه الرماني بقوله : "الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة ، فالألفاظ القليلة إيجاز. والإيجاز على وجهين: حذف ، وقصر ، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام ، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف"(٤٣) ، فعرف وقسم باختصار .

ويعرفه ابن الأثير بقوله : "إنَّ الإيجاز هو أن يؤتى بألفاظ دالة على معنى من غير أن تزيد على ذلك المعنى، ولا يشترط في تلك الألفاظ أنها لا نظير لها؛ فإنها تكون قد اتّصفت بوصف آخر خارج عن وصف الإيجاز، وحينئذ يكون إيجازا وزيادة"(٤٤) ، ويضيف "وهو حذف زيادات الألفاظ؛ وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة من سبق إلى غايتها وما صلّى، وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلّى، وذلك لعلو مكانه، وتعذر إمكانه. والنظر فيه إنّما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ، ولست أعني بذلك أن تهمل الألفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة، بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع إنما يختصّ بالمعاني؛ ....، ولهذا سمّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الفاتحة أم الكتاب، وإذا نظرنا الى مجموعها وجدناه يسيرا، وليست من الكثرة إلى غاية تكون بها أم البقرة وآل عمران وغيرها من السور الطوال؛ فعلمنا حينئذ أن ذلك الأمر يرجع إلى معانيها"(٤٥)

وعند أبي الإصبع "الإيجاز اختصار بعض ألفاظ المعاني ليأتي الكلام وجيزاً من غير حذف لبعض الاسم، ولا عدول عن لفظ المعنى الذي وضع له"(٤٦) ، ويورد تعريفًا آخر فيقول : "وأما الإيجاز فهو دلالة الألفاظ القليلة الحقيقية على المعاني الكثيرة من غير إشارة ولا إرداف ولا حذف"(٤٧).

وقد دارت هذه التعريفات حول فكرة التخفيف سواء كان بتقليل الألفاظ وتكثير المعاني ، أو حذف بعض الألفاظ غير المهمة ، والتي يتم المعنى ويتوضح دونها .

وهو من الخصائص المهمة للتوقيعات عامةً فمفهومه العام لدى المحدثين : "أنَّ تكون ألفاظه قليلة ذات معانٍ غزيرة أو أداء الألفاظ لحاجة المعنى، وهذا هو مفهوم الإيجاز الذي أشاد به الجاهليون فكان من ذلك الأمثال والحكم ، واستمر مع الإسلام فكانت الأحاديث النبوية شكلاً تعبيريًّا عن الإيجاز البليغ ، ولا غرابة فقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم ، ومازال الأمر على هذا النحو من العناية والإشادة"(٤٨) .

فضلاً عن إنَّ "الإيجاز غير المخل والمصيب للمعنى ، قمة البلاغة ، والغاية التي لا يرتقي إليها إلا الندرة من فرسانها ، الذين يسبقون ولا يصلون"(٤٩) .

أقسامه :

تكلم قدامة بن جعفر عن النوع الثاني للإيجاز (إيجاز الحذف) قائلاً : "وأما الحذف فإنَّ العرب تستعمله للإيجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالماً بمرادها فيه؛............ وهذا كثير في كلام العرب"(٥٠) .

وقسم ابن الأثير الإيجاز قسمين: أحدهما: الإيجاز بالحذف، وهو ما يحذف منه المفرد، والجملة؛ لدلالة فحوى الكلام ، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه؛ والآخر: ما لا يحذف منه شيء، وهو ضربان: ما ساوى لفظه معناه (التقدير)، والآخر ما زاد معناه على لفظه (القصر) . وذكر أنَّ القسم الأول (الإيجاز بالحذف) يتنبه له من غير كلفة في استخراجه؛ وأما القسم الثاني فإن التنبه له عسر؛ لأنه يحتاج إلى فضل تأمل، وطول فكرة؛ لخفاء ما يستدل عليه، ولا يستنبطه إلا من رست قدمه(٥١) .

وقسمه ابن أبي الإصبع إلى قسمين فقال : "واعلم أن الإيجاز على ضربين: ضرب بسيط وضرب مختصر، ويكون البسيط مختصراً بالنسبة لغيره"(٥٢) .

وقد فصل القزويني هذه الأقسام فذكر إنَّ الإيجاز ضربان أحدهما : إيجاز القصر ، وهو ما ليس بحذف ، و الضرب الثاني : إيجاز الحذف وهو ما يكون بحذف ، والمحذوف إما جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة والأول: أي مفرد أو جزء جملة ، إما مضاف ، وإما موصوف ، وإما صفة ،

وإما شرط ، وإما جواب شرط وهو ضربان : أحدهما أن يحذف لمجرد الاختصار ، والثاني أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوبا أو مكروها إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ولو عين شيء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده ، والثاني: ما يكون جملة ، إما مسبب ذكر سببه ، أو بالعكس ، والثالث : أكثر من جملة . والحذف على وجهين : أحدهما : أن لا يقام شيء مقام المحذوف ، والثاني أن يقام مقامه ما يدل عليه(٥٣) .

المبحث الرابع

الإيجاز في فن التوقيعات (نماذج تطبيقية)

لم أجد توقيعات للرسول الكريم "صلى الله عليه وسلم" ، ووجدت أول التوقيعات في عصر صدر الإسلام هو توقيع أبو بكر الصديق "رضي الله عنه" على كتاب خالد بن الوليد فوقع إليه " أُدْنُ من الموت تُوهَبْ لك الحياةُ"(٥٤).

في هذا التوقيع إيجاز القصر ، فأراد الخليفة "رضي الله عنه" بألفاظه القليلة معانٍ واسعة هي: منح الحياة للآخرين ببقاء دولة المسلمين وسيطرتهم وعزمهم بالجهاد في سبيل الله ، ومنح الإذن لخالد بن الوليد بالتقدم لمواجهة العدو ، فنرى أن كل هذا مقصود من القول الوجيز السابق ، ويمكن أن نقول أن فيه إيجاز الحذف (حذف الشرط) والتقدير : إن تَدْنُ من الموت توهب لك الحياة .

وثاني توقيعات العصر هي توقيعات الخليفة عمر "رضي الله عنه" فقد "كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بنيان يبنيه، فوقّع في أسفل كتابه: ابن ما يكنّك من الهواجر(٥٥) وأذى المطر"(٥٦) .

وفي هذا النص نجد نوعا الإيجاز بالقصر وبالحذف ، فقد أوجز مقصوده بعبارة قصيرة قصد بها ألا يتمادى في بناءه و ألا يجعله من الفخامة والعمران والعلو ما يبلغ كل مبلغ ، فالبنيان غايته الاتقاء من الحر والبرد ، لذا أوصى الخليفة "رضي الله عنه" أن يكون البنيان بهذا القدر ولا يتعداه ، ونرى إيجاز الحذف أيضًا حيث حذف فعل الأمر لدلالة ما قبله أو الفعل الأول عليه والتقدير : (ابن ما يكنك من الهواجر وابن ما يقيك أذى المطر) ، فحذف الفعل الثاني للإيجاز .

ومن توقيعات الخليفة عمر "رضي الله عنه" أيضًا توقيعه "إلى عمرو بن العاص: كن لرعيتك كما تحبّ أن يكون لك أميرك"[٥٧] ، وهنا نلحظ إيجاز القصر حيث أوجز العبارة وكان مقصوده أن يكون الأمير عادلاً مراعيًا لرعيته ، وأن يتعامل معهم كما يحب أن يتعامل معه أمير المؤمنين ، أي أن يحب لأخيه المسلم من رعيته ما يحبه لنفسه ، وسيبنى على هذا التعامل صلاح الدولة والمسلمين ، فالخليفة اقتصر كل الصفات السامية والاخلاق الفاضلة وحسن التعامل التي ينبغي أن يتحلى بها ولي الأمر . ومن توقيعات الخليفة عثمان "رضي الله عنه" توقيعه "في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بوجء أعناقهم: فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ"[٥٨] ، فقد استخدم هنا الاقتباس القرآني ، وقد قصد به الإيجاز عن مبتغاه وهو أن هذا الأمير قد عصاه فهو يبرأ من أفعاله، وهو في قوله تعالى : "فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ"[٥٩] ، فقد اعتمد الخليفة على البلاغة القرآنية في إيصال رده إلى رعيته عندما شكوه أميرهم وقد "وقع في قصة رجل شكا عيلة عليه: قد أمرنا لك بما يقيمك، وليس في مال الله فضل للمسرف"[٦٠]، وقد قصد من توقيعه الموجز أنه أمر له ما يكفيه ليقُوم عوده ويتقوى به ، ولا يزيد عليه ، فلا يجوز له من بيت المال إلا هذا ، وما تجاوزه أصبح من الإسراف وليس في بيت المال نصيبٌ للمسرفين ، فأراد هذه المعاني من توقيعه الذي لم يتجاوز السطر الكتابي ،وهذا ما يسميه البلاغيون (إيجاز القصر) فقد اقتصرت الألفاظ عن المعاني ففاقت معاني النص ألفاظه .

وقد علقت إحدى الباحثات على هذا التوقيع مع مجموعة أخرى من التوقيعات من ضمنها توقيع الإمام علي "عليه السلام" الذي سيأتي ذكره (يحاسبون كما يرزقون) قائلةً: "وجاءت توقيعات كثيرة خلت من المحسنات ومع هذا فهي لا تقل رونقًا وبلاغةً عن سابقتها"[٦١] ، فأرادت أن تبين أن البلاغة ليست فقط فيما يجيء من محسنات لفظية ومعنوية ، بل البلاغة في كل علومها وفنونها الخاضعة للمقاييس الفنية والذوقية .

ومن توقيعات الخليفة الإمام علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه" توقيعه "إلى طلحة بن عبيد الله[٦٢] ـ رضي الله عنه ـ : في بيته يؤتى الحكم"[٦٣] ، (إيجاز قصر) فأراد أنه حكيم وبيته بيت

الحكم والعدل ويحتكم الناس إليه لذلك ، وقد استخدم المثل العربي السائر ليوجز به مبتغاه ، فجاء هنا التوقيع عبارة عن مثل سائر، وهذا ما أشرنا إليه في بداية بحثنا من أن بعض التوقيعات عبارة عن مثل سائر أو آية قرآنية أو .... إلى آخره . ومن توقيعاته "رضي الله عنه" توقيعه "في كتاب جاءه من الحسن بن علي رضي الله عنه: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام"(٦٤) ، وهو أيضًا من باب (الإيجاز بالقصر) ، فقد أراد من ألفاظه الموجزة أن رأي الشخص الكبير في السن أفضل بكثير من رأي الشاب لأن الشيخ له خبرة في الحياة ومعرفة بحكم سنه واطلاعه على الأمور ، وقد قصد رد ولده عن مطلبه بالاعتراض على آراء الكبار، لأنَّهم أفهم وأعلم ولهم رُؤيا قد لا يفهمها الشاب إلا بعد أن يدرك سنهم ، وقد أصبح هذا القول مثلاً سائرًا اعتمده الميداني في كتابه(٦٥) ، وهذا خلاف ما نجده في بعض التوقيعات وهو استعمالها لمثل سائر عند العرب كما في التوقيع السابق له .

وقد "وقع في كتاب سلمان الفارسي– وسأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة؟ –: يحاسبون كما يرزقون"(٦٦) ، وقد أراد بعبارته الموجزة أن الناس يحاسبون على قدر أعمالهم التي يرزقون للتوفيق لها من الأعمال الصالحة ، فجاء بإيجاز القصر ، فقد أوجز أنواع الحساب والرزق في العبادة بهاتين الكلمتين ، فكان توقيعه "عليه السلام" من باب التفقه الديني . ومن توقيعاته أيضًا "في كتاب الحصين بن المنذر إليه يذكر أنّ السيف قد أكثر في ربيعة: بقية السيف أنمى عددا"(٦٧) ، وهنا جاء (بإيجاز الحذف) حيث حذف جملة من باب حذف المسبب ، فقد ذكر السبب وهو كثرة القتلى وأعدادهم وحذف المسبب وهو الحروب الدائرة والصراعات .

وتوقيعه "في كتاب جاءه من الأشتر النخعي(٦٨) فيه بعض ما يكره: من لك بأخيك كلّه؟"(٦٩) ، فأوجز بالقصر مقصده بأنه لا يمكن أن تكون صفات الأخ (حقيقيًا أو صديقًا) مناسبة لك ومنسجمة مع صفاتك ، ولا يمكن أن يأتيك دائمًا منه ما يسرك ، فأحيانًا يأتيك بالمسرة وأحيانًا أُخرى يأتيك بالمكاره . وتوقيعه "في كتاب صعصعة بن صوحان(٧٠) يسأله في شيء: قيمة كلّ امرئ ما يحسن"(٧١) ، (إيجاز قصر) أي أن علو المرء وارتفاع شأنه وقدره بالإحسان إلى الآخرين ، وهو من شعب الإيمان ، وأرى أن هذا أيضًا من باب التفقه الديني .

الخاتمة :

١. لم يعثر على توقيع قبل عصر صدر الإسلام وربما يعود السبب في ذلك إلى عدم ظهور الكتابة إلا في هذا العصر .
٢. قلة التوقيعات في عصر صدر الإسلام فلا تكاد تتجاوز الإحدى عشر توقيعًا ، مع غلبة توقيعات الخليفة علي "عليه السلام" فقد بلغت ست توقيعات أي أكثر من نصف توقيعات العصر ، وقلتها بالنسبة للخليفة أبو بكر "رضي الله عنه "فلم أعثر له إلا على توقيع واحد فقط ، وتساوي الخليفين عمر وعثمان "رضي الله عنهما" في عدد التواقيع فلكل واحد منهما توقيعين ، فتلك الإحدى عشر توقيعًا .
٣. وضوح فن الإيجاز وبروزه مع الإجادة في استخدامه في هذا العصر ، والتنويع في استخدام أنواعه ، من إيجاز الحذف ، وإيجاز القصر .
٤. التنويع في التوقيعات الإسلامية ، فنجد مثلاً الاقتباس القرآني وهو في نصٍ واحد فقط وهو توقيع الخليفة عثمان بن عفان "رضي الله عنه" عندما اشتكى وتظلم بعض الناس من أميرهم فرد موقعًا بنصٍ قرآني ، وضرب المثل ونجده في توقيع الخليفة علي بن أبي طالب "عليه السلام" ، فمرةً ضرب مثلاً من أمثلة العرب وهو في التوقيع الأول الذي ذكرناه ، ومرةً سار قوله مثلاً وأصبح مما يستشهد به وهو التوقيع الثاني الذي ذكرناه له ، والحكم وهو في أغلبها ، والتفقه الديني وهو في توقيع الخليفة علي "عليه السلام" على كتاب سلمان الفارسي ، وكتاب صعصعة بن صوحان .
٥. التفاهم البلاغي بين الخليفة والرعية ، والرُقي الأدبي بينهما ، وهذا يدل على الثقافة الأدبية والبلاغية التي كان يملكها العرب سابقًا من خليفة وأمير ورعية .
٦. وجود التوقيعات الإسلامية ينفي بشكل كبير أي تشكيك في أصولها العربية .

هوامش البحث :

---

[1] أدب الكتاب : أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ) ، نسخه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري ، ونظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الآلوسي ، المطبعة السلفية – بمصر، المكتبة العربية – ببغداد ، ١٣٤١هـ ، ص١٣٤ .

[2] معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت (٣٩٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، د.ط ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ٦/١٣٣، ١٣٤ ، مادة وقع .

[3] النمل : ٨٢ .

[4] الأعراف : ١٣٤ .

[5] لسان العرب:محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)،دار صادر ـ بيروت ،ط٣،١٤١٤هـ،٨/٤٠٦،٤٠٣،مادة وقع .

[6] الطور : ٧.

[7] النمل : ٨٢ .

[8] الأعراف : ١١٨ .

[9] تاج العروس من جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي ت (١٢٠٥هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د.ط ، د.ت ، ٢٢/٣٥١ ، مادة وقع .

[10] مقدمة ابن خلدون : للعلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ) ، تحقيق يحيى مراد ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، ص٣٠٧ .

[11] صبح الأعشى في صناعة الإنشا : أحمد بن علي القلقشندي ت (٨٢١هـ) ، تحقيق د. يوسف علي طويل ، دار الفكر ـ دمشق ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ١/ ١٤٥ ، ١٤٦ .

[12] المصدر نفسه : ١١/١١٤ .

[13] زهر الأكم في الأمثال والحكم : الحسن بن مسعود نور الدين اليوسي (ت ١١٠٢هـ) ، تحقيق : د محمد حجي ، و د محمد الأخضر ، الشركة الجديدة ـ دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ٢/ ٢٢٠ .

[14] التوقيعات فن عربي أصيل دراسة في النشأة والتطور حتى نهاية العصر العباسي : د. عرفة حلمي عباس ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ص١٧ .

(١٥) الكتابة الفنية في مشرق الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري : د. حسني ناعسة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص٢٤٣ .

(١٦) أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) : الكتاب طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ ، ٢٣٧/٤ .

(١٧) (١٥٠ - ١٨٧ هـ = ٧٦٧ - ٨٠٣م) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، أبو الفضل : وزير الرشيد العباسي، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم . ولد ونشأ في بغداد ، واستوزره هارون الرشيد ، ملقيا إليه أزمة الملك ، وكان يدعوه : أخي . فانقادت له الدولة ، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه ، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة ، نقمته المشهورة ، فقتله في مقدمتهم ، ثم أحرق جثته بعد سنة . وكانت لجعفر توقيعات جميلة . وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس ، قالوا في وصف حديثه : (جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة ، وإفهاما يغنيه عن الإعادة) وكان كاتبا . (الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ، أيار/مايو ٢٠٠٢م ، ١٣٠/٢ .

(١٨) أدب الكتاب : ١٣٤ .

(١٩) أَبُو سَلَمَة الْخَلَّال (٠٠٠ - ١٣٢هـ =٠٠٠ ـ ٧٥٠م) حفص بن ليمان الهمدانيّ الخلّال ، أبو سلمة : أول من لقب بالوزارة في الإسلام . كانت إقامته قبل ذلك في الكوفة ، وأنفق أموالا كثيرة في سبيل الدعوة العباسية . ... ولما استقام الأمر للسفاح استوزره ، فكان أول وزير لأول خليفة عباسيّ . وكان يسمر كل ليلة عند السفاح ، وهو في الأنبار . والسفاح يأنس به لما في حديثه من إمتاع وأدب ولما كان عليه من علم بالسياسة والتدبير. واستمر أربعة أشهر ، واغتاله أشخاص كمنوا له ليلا ووثبوا عليه وهو خارج يريد منزله ، فقطعوه بأسيافهم . (الأعلام : ٢٦٣/٢ ، ٢٦٤) .

(٢٠) أدب الكتاب : ١٣٤ .

(٢١) تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، د.ط ، د.ت ، ص١٣٠.

(٢٢) تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول : د. شوقي ضيف ، د. ط ، د.ت ، ص٤٨٩ .

(٢٣) تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان ،دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ١٣٩/٢ .

(٢٤) بلاغة الكتاب في العصر العباسي دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب : د. محمد نبيه حجاب ، مكتبة الطالب الجامعي ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص٩٨ .

(٢٥) في الأدب الجاهلي :طه حسين ، دار المعارف بمصر ، ط١٠ ، ١٩٩٦م ، ص٣٢٩ .

(٢٦) النثر الفني في القرن الرابع : زكي مبارك ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت ، ١/٦٦ .

(٢٧) ينظر الكتابة الفنية في مشرق الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري : ٢٤٣ .

(٢٨) جمال فن التوقيعات المعنوي : د. مسرت جمال جامعة بشاور باكستان ، وسيدة سميعة عزيز كلية البنات بباكستان ، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ، العدد ٩. ١٠ السنة ٣٤ ، رمضان . شوال ١٤٣١هـ/ أغسطس ـ أكتوبر ٢٠١٠م .

(٢٩) تحفة الوزراء : أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، تحقيق حبيب علي الراوي ، د. ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٧م ، ص١٤٨ .

(٣٠) ينظر التوقيعات فن عربي أصيل : ٣١ ـ ٣٣ .

(٣١) جمال فن التوقيعات المعنوي : مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ، العدد ٩. ١٠ السنة ٣٤ .

(٣٢) التوقيعات فن عربي أصيل : ١١٢ .

(٣٣) ينظر النثر الفني في القرن الرابع : ١/٦٨ ، ٦٩ .

(٣٤) الكتابة الفنية في مشرق الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري : ٣١٨ .

(٣٥) أدب التوقيعات في المشرق : خالدة ناجي معروف ، رسالة ماجستير في آداب اللغة العربية ـ جامعة بغداد ، ١٩٧٦م ، ص٣٥ .

(٣٦) المصدر نفسه : ٣٥ .

(٣٧) المصدر نفسه : ٤٠ .

(٣٨) أدب الكتاب : ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٣٩) المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ٧/٥٢٥ .

(٤٠) لسان العرب : ٥/٤٢٧ ، مادة وجز .

(٤١) العقد الفريد : ٤/ ٢٧٢ .

(٤٢) المصدر نفسه : ٤/ ٢٣٨ .

(٤٣) النكت في إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (سلسلة ذخائر العرب (١٦)) : علي بن عيسى أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت٣٨٤هـ) ، تحقيق: محمد خلف الله ، و د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ١٩٧٦م ، ص٧٦ .

(٤٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : نصر الله بن محمد بن محمد الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، ١٤٢٠ هـ ، ٦٧/١ .

(٤٥) المصدر نفسه : ٦٨/٢ .

(٤٦) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني (ت٦٥٤هـ) ، تحقيق: د . حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، د.ط ، د.ت ، ص٤٥٩.

(٤٧) المصدر نفسه : ٤٦٧ .

(٤٨) التوقيعات فن عربي أصيل : ١١٠ .

(٤٩) الأسس النفسية للبلاغة العربية : د. مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص١٢٥ .

(٥٠) كتاب نقد النثر : أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق : د. طه حسين بك ، وعبد الحميد العبادي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م ، ص٦٩ .

(٥١) ينظر المثل السائر : ٧٤/٢ .

(٥٢) تحرير التحبير : ٤٦٩ .

(٥٣) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين القزويني (ت٧٣٩هـ) ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٨م ، ص ١٧٤ ـ ١٨٤ .

(٥٤) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة : أحمد زكي صفوت ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط١ ، ١٣٥٦ هـ/١٩٣٧م ، ٦٠٦/١ .

(٥٥) الهاجِرَة : نصفُ النّهارِ عند اشتداد الحر . معجم مقاييس اللغة : ٣٤/٦ ، مادة هجر .

(٥٦) العقد الفريد: ٢٨٧/٤ .

(٥٧) المصدر نفسه : ٢٨٧/٤ .

(٥٨) المصدر نفسه : ٢٨٧/٤ .

(٥٩) الشعراء : ٢١٦ .

(٦٠) العقد الفريد : ٢٨٧/٤ .

(٦١) أدب التوقيعات في المشرق : ٣٩ .

(٦٢) (٢٨ ق هـ - ٣٦ هـ = ٥٩٦ - ٦٥٦ م) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد: صحابي، شجاع، من الأجواد. وهو أحد العشرة المبشَّرين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام. قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش ومن علمائهم. وكان يقال له ول أبي بكر أديب له شعر. من أهل النعمانية (بين بغداد وواسط) انتقل إلى بغداد ومنها إلى خراسان وسافر إلى البصرة في أيام الحريري صاحب المقامات وكتب إليه رسالته السينية نظما ونثرا . (الأعلام : ٣/٢٢٩، ٢٣٠) .

(٦٣) العقد الفريد : ٤/٢٨٧ ، وهو مثل عربي ورد في كتاب جمهرة الأمثال : أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، و عبد المجيد قطامش ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٨٨م ، ١/٣٦٨ .

(٦٤) العقد الفريد : ٤/٢٨٨ .

(٦٥) ينظر المثل في كتاب مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت٥١٨هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، د.ت ، ١/٢٩٢ ، رقم ١٥٤٧ .

(٦٦) العقد الفريد : ٤/٢٨٨ .

(٦٧) المصدر نفسه : ٤/٢٨٨ ، ولم أجد ترجمة في كتب التراجم والتاريخ للحصين بن المنذر .

(٦٨) الأَشْتَر النَّخَعي(٠٠٠ - ٣٧ هـ = ٠٠٠ - ٦٥٧ م)مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، المعروف بالأشتر: أمير، من كبار الشجعان. كان رئيس قومه. أدرك الجاهلية. وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة " عمر " في الجابية. وسكن الكوفة. وكان له نسل فيها. وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها. وكان ممن ألّب على "عثمان " وحضر حصره في المدينة. وشهد يوم الجمل، وأيام صفين مع علي، و ولاه على " مصر " فقصدها، فمات في الطريق، فقال علي: رحم الله مالكا فلقد كان لي كما كنت لرسول الله. وله شعر جيد، ويعدّ من الشجعان الأجواد العلماء الفصحاء . (الأعلام : ٥/٢٥٩).

(٦٩) العقد الفريد : ٤/٢٨٨ .

(٧٠) (٠٠٠ - ٥٦ هـ = ٠٠٠ - ٦٧٦ م) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبديّ: من سادات عبد القيس. من أهل الكوفة. مولده في دارين (قرب القطيف) كان خطيبا بليغا عاقلا، له شعر. شهد (صفين) مع علي، وله مع معاوية مواقف. قال الشعبي: كنت أتعلم منه الخطب. ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة (أوال) في البحرين، بأمر معاوية، فمات فيها عن نحو ٧٠ عاما. كتب أديب من البحرين (في جريدة الخليج العربيّ ٢٦ / ١٠ / ١٣٧٩) أن قبره لا يزال معروفا في بلدة تسمى (الكلابية) بالبحرين. وقيل: مات بالكوفة. وفي تاريخها أن مسجده لا يزال معروفا فيها إلى الآن . (الأعلام : ٣/٢٠٥) .

(٧١) العقد الفريد : ٤/٢٨٨ .

Research Summary :

The research the eloquence of brevity found in the literature of signatures, we have chosen the Islamic era (model) , for being the first seed of this literary art , has shed light on the art of brevity rhetorical found in this genre ,because of its great importance adult and effect in the hearts of readers , has divided research on topics: The first house after the introduction on the definition of sign language and idiomatically ,and the second about the emergence of signatures ,evolution and characteristics ,and the third on the definition of brief language and idiomatically and divisions, and the fourth practical models of brevity in the signatures of early Islam, then conclusion the most important thing we came up with the diversity of signatuers between ideals and governance and Quranic quote , and the diversity of brevity Boqsama it to last .